الشَّيخ أحمد عبدالله بركة وجهوده في نشر اللغة العربية وآدابها في تشاد 1920–2003م

د. محمد النظيف يوسف(*) د. حامد هارون محمد(**)

• **مُلخص:**

لا توجد حركة ثقافية أو علمية أو أي نشاط إنساني بدون رائد وأن مرحلة اليقظة الثانية في الأدب التشادي التي يقودها الشيخ محمد عليش عووضة قد ولدت رواد بالشعر التشادي من بينهم الشيخ أحمد عبد الله، قام بجهود مقدرة في نشر اللغة والثقافة الإسلامية في تشاد وذلك بعد الحرب العالمية الثانية، ونلاحظ هذه الجهود من خلال تلاميذ الشيخ الذين تخرجوا على يده.

شارك الشيخ أحمد عبد الله بركة في كثير من الأنشطة الثقافية والدينية التي تقام في دار وداي ونظم خلال هذه الأنشطة أشعاراً ما زالت تسري في مثل هذه المناسبات. ويترجم الشيخ في أشعاره أسلوب حركة البحث والإحياء أسلوب البارودي في إحياء الشعر العربي يعتبر الشيخ في أشعاره واثقا من نفسه فهو لا يخشى أحداً ترى شخصيته في اشعاره بأدبه للعيان وهو بذلك يشبه المتنبي في أسلوبه وفي اشعاره.

وبالرغم من أن الشيخ عاش الجو الديني الصوفي السائد وقت ذاك في البلاد إلا أنه تحاشى الدعاء والابتهال والتوسل في أشعاره لذلك فاق زملائه في هذا المجال. وبما أن الشاعر أحمد عبد الله بركه عاش في بيئة ثقافية دينية فمن المتوقع أن تؤثر هذه البيئة على إنتاجه الشعري.

الكلمات المفتاحية: أحمد عبد الله بركة، اللغة العربية في تشاد، الحركة الثقافية.

(*) الأستاذ المشارك والمحاضر بكلية الدراسات العليا بجامعة الملك فيصل ومدرسة الدكتوراه بجامعة أنجمينا– تشاد

(**) محاضر بكلية الإعلام والآداب والفنون بجامعة الملك فيصل– تشاد

- **Abstract :**

Sheikh Ahmat Abdallah Baraka's Efforts on the Propagation of Arabic Language and Literature in Chad 1920-2003

There is no cultural or scientific movement or human activity without a pioneer, which is why the second phase of the awakening of Chadian literature led by Cheikh MAHAMAT OULECH AWOUDA generated pioneers of poetry. Chadian culture, including Cheikh AHMAT ABDALLAH, who made appreciable efforts in the propagation of the Islamic religion, the Arabic language and the Arabic culture in Chad, and it was after the Second World War that researchers noticed his efforts through the works of his students.

In addition, Sheikh AHMAT ABDALLAH BARAKA inspired by his participation in the cultural and religious activities that took place at that time in Ouaddaï to compose poems that have always remained valid on such occasions.

In addition, the poems of the sheikh translate the style of the movement of research and renewal, the style of EL-BAROUDI in the revival of Arabic poetry.

Although the sheikh experienced the mystical religious atmosphere prevailing at that time in the country, he avoided invocation, supplication and adjuration in his poetry, which he excelled better than his colleagues did.

Finally, since the poet AHMAT ABDALLAH BARAKA lived in a cultural and religious environment, a total influence by this environment felt in his literary works.

Key Words: Ahmat Abdallah Baraka- Arabic Language in Chad- Culteral movment

- **مقدمة:**

قبل المؤتمر الأوربي المشؤوم الذي عقد عام 1884م في برلين والذي أطلق فيه المؤتمرون يد أوربا على العالم الثالث، كانت إفريقيا تعيش عيشة هنيئة هادئة تنعم بالأمن والاستقرار في ظل حكم سلطناتها ومملكاتها وثنية كانت أم إسلامية. وما انفض مؤتمر برلين حتى بدأ التزعزع والخوف والدمار يتغلغل في أحشاء هذه القارة المسالمة التي سماها الشاعر ـ وديعة ـ بدأ يدب في هذه القارة التفكك والاضمحلال، وبعد حين اندثرت معالمها وحلت محلها معالم أوربية حديثة لم يكن لسكان هذه القارة عهد بها.

بدأ التغيير يندس عبر وسائل الاستعمار إلى العادات والتقاليد لسكان ـ وديعة ـ بل حتى الثقافة واللغة وحتى الدين طاله التغير فصار الوثنيون مسيحيين بحكم نشاط الحركات التبشيرية، واستبدلت لغة أي بلد دخله الاستعمار بلغة المستعمر كما صار الحكم بيده. ولا حول ولا قوة لسكان القارة التي دخلها المستعمر، والحمد لله أن كان وسط إفريقيا لا سيما الجزء الذي أطلق عليه اسم –تشاد– فيما بعد، دخله الإسلام قبل دخول الاستعمار فلم يستطع المبشرون تغيير ديانته لأن الإسلام له قوة ربانية تحميه وتدافع عنه.

غير أن المستعمر حاول استبدال اللغة المحلية لهذه البقعة بلغته ومنع تدريس اللغة العربية في جميع الأراضي الواقعة تحت سيطرته بموجب مرسوم رقم (13) الصادر سنة 1939م وذلك بعد أن قام بإعدام حملة الثقافة العربية الإسلامية في مذبحة بشعة عرفت بـ (مذبحة الكبكب) قتل فيها عدد كبير من العلماء.

أخافت هذه الحادثة ما تبقى من العلماء ممن لم تطلهم يد القتل؛ فدخلت المنطقة في ظلام الجهل لا سيما الجانب الأدبي، واستمرت هذه الحالة قرابة الثلاثين عاما. بعدها بدأت مرحلة جديدة للأدب عندما عاد الشيخ محمد عليش عووضة خريج الأزهر إلى البلاد وأسس معهدا علميا على منوال المعاهد الأزهرية تدرس فيه العلوم الدينية واللغوية، الأمر الذي أزعج المستعمر وأدخل مؤسسه في منازعات معه انتهت بنفيه عن البلاد، وهنا يأتي دور الشيخ أحمد عبدالله بركة كوريث شرعي لعليش.

قام الشيخ أحمد عبدالله بركة بجهد كبير كي يبقى المعهد مفتوحا بعد نفي مؤسسه وترأس إدارته. وتجاه هذه المقاومة لم تجد سلطات الاستعمار بدا من إبقاء المعهد مفتوحا، فكان أحمد هو رائد النهضة العلمية والأدبية في المرحلة التي تلت مرحلة عليش.

وللتعرف على هذه الشخصية المهمة لابد من إلقاء الضوء عليها للوقوف على مجهودات هذا الرجل في حفظ ونشر اللغة العربية في ربوع هذه البلاد.

وكان هيكل هذه الدراسة على النحو التالي:

- مقدمة
- المبحث الأول: حياة الشاعر والظروف التي عاشها.
- المبحث الثاني: نتاج الشاعر العلمي والأدبي.
- المبحث الثالث: أسلوب الشاعر وما يتضمنه نتاجه من حيث الشكل والمضمون (دراسة فنية).
- خاتمة: وتتضمن نتائج وتوصيات.
- المصادر والمراجع.

- **المبحث الأول: الشيخ أحمد عبد الله حياته**

- الشاعر أحمد عبد الله بَرَكَهْ* حياته والظروف التي عاشها:

المولد والنشأة :

ولد الشيخ أحمد عبد الله بركة، بقرية – منقى قوز فيل– بكنتو أبكر– التابع لمركز –أم دم– جنوب مدينة أبشه، وذلك حوالي 1920م وبعد سنتين من ميلاده دخلت الأسرة مدينة أبشه واستوطنتها فنشأ وكأنه من مواليدها، فهو نشأ وترعرع بمدينة أبشه.[1]

1– أخذت السيرة من ابنه أبكر أحمد عبد الله مكتوبة بالإضافة إلى المعلومات التي استقيتها من بعض تلاميذه.

مراحله التعليمية:

كان والده عبد الله بركة عالماً صالحاً قرأ عنده القرآن برواية أبي عمرو الدوري وجوّده وحفظه وهو ابن ثلاث عشرة سنة، ثم بدأ معه مبادئ العلوم الشرعية وعلوم اللغة، ثم تحول إلى حلقات العلم المنتشرة في المدينة استفاد منها علماً جماً، فقها ونحواً وتفسيراً وحديثاً وتوحيداً ولغة عربية حتى أصبح شاعراً إلى جانب كونه عالماً.

مشايخه:

قرأ القرآن أولاً عند والده عبد الله كما أسلفت، ثم التحق بحلقة العلامة الشهير المفسر لكتاب مختصر خليل في الفقه، طاهر آدم عمر الملقب بأبي –العينين– وكذلك بمالك الصغير، درس عنده الفقه كما درس عند الفقيه فضل يعقوب بريش الغانمي، الذي يقال: إنه أول من جلس في حلقة للتعليم بعد مذبحة الكبكب، لأن هذه الحادثة أخافت الكثير من العلماء من ممارسة نشاطهم العلمي، وكان فضل هذا مشهوراً بتفسير القرآن الكريم، وكان كفيف البصر. كما درس عند الفقيه محمد عبد الله المعروف بأبي جويرية. وهو شيخ عُمّر واستفاد منه أهل أبشه علماً نافعاً. كما درس عند عمه محمد صالح بركة المشهور بتفوقه في علم التوحيد، درس عنده هذا الفن حتى أجاده، ثم درس عند العلامة الفقيه حبيب والإمام محمد أبكر والد الإمام علي[1] إمام المسجد العتيق بأبشه. ثم التحق بالمعهد العلمي بعد تأسيسه من قبل الشيخ محمد عليش عووضة، فدرس فيه عند الشيخ عليش عووضة وأخيه سليم عووضة، ويقال إن الشيخ أحمد عبدالله جلس للتدريس منذ عام 1939م قبل تأسيس المعهد، وكان أحمد عبد الله يتميز بذكاء فائق من بين أقرانه حتى سماه الشيخ عليش بعقل الأكاديمية[2].

مجهوداته:

بعد تأسيس المعهد انضم إليه وأصبح عضواً فعالاً في سير دراسته، وكان مسانداً ومناصراً قوياً للشيخ عليش وهو أحد الأربعة[3] الذين نهضوا بالمعهد بعد نفي مؤسسه خارج البلاد.

1– توفي بتاريخ 3–2–2006م 5 محرم 1427هـ.

2– ورقة السيرة الذاتية مخطوط بيد الباحث – حامد هارون محمد في مكتبة الباحث.

3– الثلاثة الأخرون، هم آدم بركه، والطيب دهب، ولعل الثالث هو عبدالله عبدالمولى.

ومن مجهوداته أنه كان مراسلاً لجريدة مؤتمر الخريجين التي تصدر بالخرطوم وذلك ما بين عامي 1946–1947م، وكان رئيساً لجمعية الثقافة لطلبة المعهد. وعندما فتحت الثانوية الفرنسية العربية – ليسيه فرانكوآراب– عُيّن مدرساً فيها للغة العربية ضمن أربعة من زملائه، هم آدم بركه والطيب دهب وزكريا حسن بعد مسابقة أجريت لهم. ثم صار مسؤولاً عن سير المدرسين بالثانوية المذكورة. صار عضواً مهماً ورئيساً في الوقت نفسه لأول لجنة إسلامية أسست بأنجمينا فرع أبشه، كما صار عضواً مهمً في لجنة الإفتاء التابعة للجنة الإسلامية فرع أبشه ونائب رئيس لهذه اللجنة[1] بالإضافة إلى ذلك، له حلقة في مسجده الخاص قرب منزله، كما كانت له حلقة بالمسجد العتيق بشق الفقراء –الفقهاء.

علمه:

ألم الشيخ أحمد عبد الله بركة بعلوم الشريعة والحقيقة والأسرار، إضافة إلى علوم اللغة والأدب والبلاغة، فكان صاحب حلقات علمية في بيته وفي المسجد العتيق والمدرسة الحكومية التي يعمل بها –ليسه– يقول عنه الشيخ مكي عبدالله: فضيلة الشيخ أحمد عبد الله بركه، عالم مفسر للقرآن الكريم والعلوم اللغوية ومعلم بالقسم الثانوي وعضو في اللجنة الإسلامية فرع لجنة الفقه والعقيدة[2].

تلاميذه:

تخرج على يديه خلق كثير، أشهرهم: الشيخ عقيل محمد، والقوني مختار محمد وآدمو نوح، وسحنون عبد الله، ويعقوب عبد الله، وعبد الله يعقوب صابر هؤلاء الذين استطاعوا أن يستفيدوا منه ويعقدوا حلقات مستقلة بهم أمثال عبد الله يعقوب صابر.

ثقافته:

كان الشيخ أحمد عبد الله بركه حافظاً لكتاب الله منذ صغره، ثم أضاف إلى حفظه كثيراً من المعارف الشرعية واللغوية، وكان لا يعطيها لأحد إلا بحذر شديد، مخافة أن

1– ورقة السيرة الذاتية مخطوط بيد الباحث – حامد هارون محمد في مكتبة الباحث.

2– طريق الهدى والرشاد في التصوف القويم، بدون تاريخ وبدون طباعة (يوجد في مكتبة الباحث) ص5.

يضر بها الآخرين وكان مطلعاً على الأدب العربي وتاريخه، يحفظ الكثير منه وينسج على منواله إذ كان له حس فني وذوق أدبي وموهبة شعرية فهو شاعر وأديب، وعالم وفقيه.

أخلاقه وصفاته :

يتميز الشيخ أحمد عبد الله بركه بصبره وشجاعته وبصره وبصيرته وذكائه وتفوقه على أقرانه في العلم والنشاط، لكنه في الوقت ذاته يتميز بشحه في إعطاء المعلومات للتلاميذ، فهو يقول: نحن لا نعطي إلا إذا سئلنا، وإذا سئلنا نعطي بقدر[1].

ويقول: نحن نموت بهذه الأسرار دون أن يطلع عليها أحد[2]. وقد عُرف بهذه الصفة لدى أوساط الأهالي في أبشة، ومع ذلك كان صادقاً وفياً ذا قوة وقريحة صافية، غير أن أهالي أبشه يشهدون له بعلو أدبه ورفعة أخلاقه واعتدال سلوكه، فيحترمونه ويقدرونه.

- **المبحث الثاني: نتاج الشاعر العلمي والأدبي**

نتاج الشاعر العلمي والأدبي: لما عُرف الشيخ أحمد عبد الله بركه بحذره الشديد، لم يستطع أحمد أن يطلع على مخطوطاته وهي محفوظة في خزانته، ولما سألته عن بعض قصائده قال إنها في هذا الدولاب ولا أستطيع أن أبحث لك عنها وكان ذلك قبل وفاته بعام وكان مريضاً[3]. وعليه فإنه يجب على كل باحث البحث عن مثل هذه المخطوطات بعد وفاة مؤلفها.

وفاته :

توفي (رحمه الله) بعد مسيرة علمية حافلة بالنشاط والعمل الدؤوب من أجل تعليم أبناء الوطن استمرت أكثر من خمسين عاماً توفي يوم الإثنين 26 مايو التاسعة ليلاً،

1 ـ مقابلة شخصية مع ابن الشيخ.

2– مقابلة مع أستاذ صالح عامر.

3– زرته في منزله في شهر أغسطس 2002م.

ودفن صبيحة الثلاثاء 27 مايو 2003م دفن بمقابر المسجد العتيق بحارة شق الفقراء (الفقهاء). بجوار والده عن عمر يناهز 83[1] الثالثة والثمانين عاماً. جزاه الله عن المسلمين خيراً.

مكانته العلمية والأدبية:

لم يجهل أحد من سكان مدينة أبشه مكانة الشيخ أحمد عبد الله بركه العلمية والأدبية، كان عضواً للجنة الفتوى الإسلامية بمدينة أبشه ورئيساً لها. كما كان شاعراً أشاد به الشيخ عليش عووضة وأعجب بشعره حين أنشده أمامه. وقد أثنى عليه الشيخ أحمد البرعي عند وفاته وقلما يثنى البرعي على أحد، حيث قال: سقطت مدينتنا بوفاة العالم الكبير المفسر، النحوي الشاعر، أحمد بن عبد الله بركه[2]. فهذه شهادة من البرعي توحي بمكانة أحمد عبد الله بركة العلمية والأدبية.

شاعريته:

كل شيء حول الشيخ أحمد عبد الله بركه يوحي بتفجر شاعريته، فهو يمتلك موهبة شعرية استطاع بها أن ينظم في جميع أغراض الشعر وكان واثقاً من نفسه في هذا الميدان، كما كان لاطلاعه الواسع على الأدب العربي وتاريخه دور بارز في التهاب شاعريته، فهو القائل:

أعيدى لي العهد الرشيدي وأطلقي * لساني عساني اليوم أن أتكلما

والعهد الرشيدي يقصد به عهد هارون الرشيد العهد الذهبي للثقافة العربية الإسلامية. وما ذاك إلا لمعرفته بتاريخ الأدب العربي.

1- ورقة السيرة الذاتية مخطوط بيد الباحث – حامد هارون محمد في مكتبة الباحث.

2- أمين علي دهب الدراسة النحوية التحليلة لكتاب – سرية الطلاب في النحو والأعراب للشيخ أحمد البرعي، بحث مقدم لنيل درجة التمكن في علم اللغة جامعة أنجمينا، كلية الأداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية، العام الجامعي 2002-2003م ص 23.

شعره:

على الرغم مما عُثر له على مقطوعات وقصائد شعرية التي لم يخفها كباقي مخطوطاته العلمية، إلا أنه لم يذكر أحد على أنه عثر له على ديوان شعر أو سمع به.

والذي في متناول الدارسين حتى الآن هو عبارة عن قصائد متفرقة في أغراض شتى، ومن أقدم أشعاره قصيدته في فضل العلم التي ألقاها في معهد أم سويقو بمناسبة توزيع الشهادات المدرسية عام 1367م (من بحر الطويل) ومطلعها[1].

أطل علينا من سنا العلم شادياً * يغرّد علماً نافعاً ومعظّماً
وأنظر في هذي الخلائق حائراً * أقول طروبا كيف حال المعلما
إليَّ بنات الشعر فالشعر خانني * وإني لأخشى اليوم أن أتعلثما
أعيدي لي العهد الرشيدي وأطلقي * لساني عساني اليوم أن أتكلما
وأنشد من[2] فضل العلوم قصيدة * وأنظم عقد الدر فرداً وتوأما
وأتلو عليهم آية بعد آية * إذا تُليت في قبر ميت تكلما
زمان تولَّى كان من علمائنا * ليوثا، يقودون الخميس العرمرما
فإن بسموا فالكون من حسناتهم * وإن عبسوا فالكون صار جهنما
وإن نطقوا دكّوا القلاع بنطقهم * وأوموا[3] إلى بنيانها فتهدما
ميايمن كانوا حيث حلت ركابهم * دواء عياء للعباد وبلسما
شموس سماء العلم آيات أشرقوا * بدور الدياجي حيث كانوا وأنجما
موازين قسط للأنام نفوسهم * يفوحون مسكاً كل وقت وعنبرا

1- ورقة السيرة الذاتية مخطوط بيد الباحث – حامد هارون محمد في مكتبة الباحث.
2- هكذا في المخطوط: الصواب "في".
3- من الإيماء : الإشارة .

وهكذا استرسل في ذكر العلماء وميزاتهم في أغلب أبيات القصيدة البالغ عددها 41 بيتاً. ويبدو أن هذه القصيدة من أوائل شعره، وأنه مطمئن لما قاله.

وللشيخ أحمد قصيدة في مولد الرسول "صلى الله عليه وسلم" من تسعة أبيات بعنوان: يا أمة الإجابة: (من بحر البسيط)[1]

يوم يقوم له التاريخ والأمم * ويسجد الأقدمان البرج والهرم
يوم أجل من الأيام أجمعها * وإن غدا بينها في السلك ينتظم
يوم هو الدهر إن عُدت محاسنه * بصحبه راح وجه الكون يبتسم
يوم الرسول، وقد شعت مباهجه * وبُشرا بوليد البيت والحرم
ونوديت أمه أنجبتِ مفخرة * ما أنجبت مثلها في أرضكم رحم
هذا الذي ترقب الرهبان بعثته * وكل حبر له في نيلها حلم
والله يختار بين الخلق أكملهم * وإن أكملهم للمفرد العلم
محمد مَن أتى بالدين يبسطه * وبالحسام لمن ضلوا ومن ظَلموا
من انتهت عنده الأديان واجتمعت * وشذبت واجتلت دستورها الأمم[2]

ثم دعا في آخر الأبيات بهذه الدعوات:

اللهم ارزقنا العافية والمعافات الدائمة في الدين والدنيا والآخرة يا رب العالمين. اللهم ارزقنا ببركة مولد المصطفى سعادة وسلامة من كل مصيبة، وعافية في الدارين، واستقراراً يا رب العالمين، إلى آخر الدعاء.

وللشاعر قصيدة ألقاها بمناسبة تتويج السلطان إبراهيم محمد عراضه عام 1978م (من بحر البسيط) يقول في مطلعها[1]:

1- ورقة السيرة الذاتية مخطوط بيد الباحث – حامد هارون محمد في مكتبة الباحث.

2- اجتلت أي رفعت دستورها الأمم، المنجد، شذب أي قشر وفرق تقول اللحاء قشره، والمال فرقه، المنجد.

يا شاعر الخلد حقُ اليوم تخليد * وداوم الشعر قم أين الأناشيد؟
صِفها على المحفل الجبار قافية * يُسمع لها في فم الأجيال ترديد
وانزل بدار أبشه مطرقاً أدباً * فبين أضلعها وجهاً صناديد[2]
وامش الهوينا ففي أحشائها أمم * وفي مرابعها أسد صناديد
تياهة تزدهي عجباً بشاهقة * من الجبال لها لله توحيد
لدى بطيحه من الأمواه[3] تحسبها * لحناً من الخلد قد نواح داوود
ونسمة مثل أمثال الحسان سرت * لطفاً يراقصها في الروض غرّيد
وندوة الفجر بالتقبيل هائمة * تدغدغ الورد والشحرور[4] ترديد
والقوس يحكي جلابيباً مطرزة * تجرها صلفا في عرسها جيد
والليل يكتم من أسراره عجباً * يخشى الصباح كأن الليل بارود
مناظر من صنيع الله قد ملئت * براً وبحراً بها الخلاق معبود
وكل شيء –ببشه– اليوم مغتبط * وكل شيء –ببشه– اليوم محسود
مرعي الصبا وعرين الأسد لا عجب * كلاهما في جبال –أبشه– موجود
فكم تحرق عود في مقاصرها * وكم تحرك في أفيائها عود
وكم ترقرق علم في مدارسها * وكم تدفق في أبنائها جود
وفتية أخلصوا لله أمرهم * والشعب لم يثنهم عسف وتهديد
هذي المدارس كالأعلام قائمة * للعلم ، يحرسها قوم مراشيد

1– ورقة السيرة الذاتية مخطوط بيد الباحث – حامد هارون محمد في مكتبة الباحث.
2– عجز البيت له رواية أخرى تقول: فبين أضلعها آباؤنا الصيد، أي الملوك ومرفوعي الرؤوس. مختار القاموس، مادة صيد.
3– الأمواه جمع ماء، مختار القاموس مادة موه. وبطيحا اسم وادي جنوب مدين أبشة.
4– شحرور طائر أسود أكبر من العصفور حسن الصوت، المنجد.

ويبدو أن الشيخ قد قال هذه القصيدة في غير ما مناسبة، فأدخل فيها تعديلات في بعض كلماتها في المناسبة الأخيرة وهي تنصب السلطان إبراهيم، فجاءت على هذا النمط.

وانزل بدار أبشه مطرقاً أدبا * فبين أضلعها آباؤنا الصيد
وامش الهوينا ففي أحشائها أمم * وفي جوانحها أسد محاميد
دم الصحابة معجون بتربتها * قد خلدتها على الدنيا الأسانيد
أمانة الشعب قد شيدت بعاتقكم * فما لغيركم تُلقى المقاليد
سيروا فلا تهنوا فالشعب يرقبكم * وجاهدوا ولواء العدل معقود
يا دار، أنتِ على التقوى مؤسسة * مبناكِ بالطهر مرصوص ومردود
يا دار، حُمّلتِ أعمال البلاد ففي * أحشائكِ اليوم أشبال صناديد
دار ابن أحمد في أبشه يظللها * نصر، ألا إن نصر الله موعود

نلاحظ أن القصيدة قد زيد في أبياتها بل استبدلت كلماتها ووزعت على شكل نظم جديد بنفس الوزن والروى، وهذا يعني أنها قيلت أولاً في مناسبة، ثم وظفت بعد ذلك في مناسبة أخرى.

وعلى الرغم من أن الشيخ أحمد عبدالله أحد علماء أبشه، الذين ينتمون إلى الاتجاه الديني الصوفي، إلا أنه يعتبر من نتاج عليش فلم تستهويه الأدعية والابتهالات والتوسلات، بل هو شاعر محافظ يترسم درب شعراء الرجعة والبعث والإحياء، ففي هذه القصيدة استرجاع للماضي حيث عهد القوة والعظمة فيدعو إليه مذكراً وموصياً الحاضرين من أهل الحل والربط من أولي الأمر بأن يقوموا بواجبهم.

فهذه الدار مؤسسة على التقوى، والذين أسسوها هم آباؤنا الصيد أي الملوك الرافعي الرؤوس كبرا. وفي جوانحها أسد محاميد، وأن دم الصحابة معجون بتربتها، كما أن هذه الدار خلدتها الأسانيد عن السلطان فلان عن السلطان فلان. ثم يوصي السلطان الجديد بقوله – سيروا والشعب يرقبكم، وأن أمانة الشعب ملقاة بعاتقكم، إلى غير ذلك من الوصايا.

أما النص الأول ففيه ذكر المدارس والعلم، ولم يشر إلى أي مسؤول فيه. أما لغة شعره، فعلى الرغم من أن الشيخ وُفّق في استعمال البحر والوزن والقافية، إلا أنه لم يسلم من الإقواء، وبعض الكلمات مثل وجها صناديد، حيث جاء بالوجه مفرداً والصفة جمعاً صناديد.

أما شخصية الشاعر، فبادية في شعره بحيث تجده واثقاً من نفسه حيث يقول:

وأنشد من فضل العلوم قصيدة * وأنظم عقد الدر فرداً وتوأما

ويقول:

صِفْها على المحفل الجبار قافية * يُسْمع لها في فَمِ الأجيال ترديد

وهذا يعني أنه قادر على القول ولا يخشى هذا الملأ المحتفل. فشعره جيد بالمقارنة مع شعر معاصريه أمثال أحمد البرعي وآدم دين كله، وإن كان الدكتور عبد الله حمدنا الله يجعل شعره من قبيل شعر المناسبات.

والملاحظة التي تحسب للشيخ أحمد عبد الله بركه، أنه يوقع بكتابة اسمه ثلاثياً في آخر كل قصيدة وبخطه مما يقطع الشك في صحة نسبة قصائده إليه.

- **المبحث الثالث: الدراسة الفينة لقصائد الشيخ أحمد عبدالله بركة**

الدراسة الفينة لقصائد الشيخ أحمد عبدالله بركة تتبين شخصية الشاعر في قصائده، فالظاهرة التي تلفت النظر هي حضور شخصية الشيخ أحمد في شعره أو ما يسمى ب–الأنا – في الشعر العربي كما في شعر المتنبي، فالشيخ أحمد عبدالله بركة واثق من نفسه وثوق المتنبي، عندما يقول:[1]

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي * وأسمعت كلماتي من به صمم

1– ديوان أبي الطيب المتنبي، بشرح أبي البقاء العكبري، دار المعرفة – بيروت– لبنان (ب، د، ت)، ج3، ص 167.

ويقول:[1]

أنام ملئ جفوني عن شواردها * ويسهر الخلق جراها ويختصم

يقول الشيخ أحمد عبدالله بركة:

يا شاعر الخلد حق اليوم تخليد * وداوم الشعر قم أين الأناشيد؟

صفها على المحفل الجبار قافية * يسمع لها في فم الأجيال تريد

ويقول:

أطل علينا من سنا العلم شاديا * يغرد علما نافعا ومعظما

ويقول:

وأتلو عليهم آية بعد آية * إذا تليت في قبر ميت تكلما

هذه الثقة في نفس الشاعر تعطي القصائد قيمة خاصة تضاف إلى بناء القصيدة عنده.

بنى الشاعر قصائده على قلتها على الطريقة العربية القديمة، فقد استعمل من البحور، البسيط والطويل ولم يكتب على الطريقة الحديثة – الشعر الحر– بل تتبين طريقته في شعره من أنه من شعراء البعث والإحياء.

نلاحظ من خلال قصائده أن شعره شعر ذاتي وطني يذكر فيه كثير من أماكن وطنه مثل قوله:

وانزل بدار أبشه مطرقا أدبا * فبين أضلعها وجها صناديد

وكل شيء ببشه اليوم مغتبط * وكل شيء ببشه اليوم محسود

وقوله:

تياهة تزدهي عجبا بشاهقة * من الجبال لها لله توحيد

لدى بطيحة من الأمواه تحسبها * لحنا من الخلد قد نواح دود

1 – نفس المصدر والجزء والصفحة.

وقوله:

دار ابن أحمد في أبشه يظللها * نصر ألا إن نصر الله موعود

هذا إلى غير ذلك مما يتعلق بحياته في صباه وكبره، وكأنه يكتشف ذاته، واكتشاف الذات فيه كثير من الأهمية، لأن الانطوائية وعدم الثقة بالنفس يولدان الانهزام في نفس الإنسان.

فالصورة الشعرية في هذه الأبيات صورة حسية.

كل شيء ببشه اليوم مغتبط ، وكل شيء ببشه اليوم محسود

وتياهة تزدهي عجبا بشاهقة من الجبال لها لله توحيد

فالصورة حسية مشاهدة.

والخيال ينقلنا إلى تلك المشاهد لنبصرها بأعيننا، فالمياه منسابة من وادي البطيحاء الذي يروي مدينة أبشه، والجبال تحيط بتلك المدينة وتسبح الخالق بلحن كلحن نبي الله داود عليه السلام، والمدينة مؤسسة على تقوى الله ومحفوظة برعاية لله ونصره لأنها مدينة علم وعلماء وتقوى وعبادة وهكذا الله ينصر عباده الذين ينصرون دينه.

أما الأسلوب، فليس فيه تعقيد فهو سهل ألفاظه متماسكة وجمله مركبة مما يسهل المعنى ويقربه للقارئ.

التكرار

أما التكرار الوارد في بعض قصائده، فإنه إما لتوكيد المعنى أو لإضافة معنى جديدا. فقد كرر الشاعر لفظ أبشه في هذه الأبيات خمسة مرات وذلك من أجل الغرض نفسه وهذا مسموح به.

يقول الدكتور إيليا الحاوي:((وقد يكون التكرار في الشعر فضيلة إذا كان وسيلة للتدرج والنمو في بذل المعنى. أم إذا أعاد الشاعر به المعنى إلى ذاته أو إلى ما هو دونه ، فإنه يغدو آفة)).[1]

1- إيليا سليم لحاوي، نماذج في النقد الأدبي وتحليل النصوص، دار الكتاب اللبناني، ط3، 1969م، ص502.

ومن التكرار المفيد معنى: قوله في قصيدته التي يتحدث فيه عن مولد الرسول عليه الصلاة والسلام:

يوم يقوم له التاريخ والأمم * ويسجد الأقدمان ، البرج والهرم[1]

يوم أجل من الأيام أجمعها * وإن غدا بينها في السلك ينتظم

يوم هو الدهر إن عدت محاسنه * بصحبه راح وجه الكون يبتسم

يوم الرسول وقد شعت مباهجه * وبشرا بوليد البيت والحرم

ونوديت أمه أنجبت مفخرة * ما أنجبت مثلها في أرضكم رحم

هذا الذي ترقب الرهبان بعثته * وكل حبر له في نيلها حلم

والله يختار بين الخلق أكملهم * وإنَّ أكملهم للمفرد العلـم

محمد من أتى بالدين يبسطه * وبالحسام لمن ضلوا ومن ظلموا

من انتهت عنده الأديان واجتمعت * وشذبت واجتلت دستورها الأمم

فقد كرر كلمة – يوم – أربعة مرات في هذه القصيدة ليضيف بعد كل كلمة – يوم – معنى آخر.

وهكذا أبدع الشاعر في هذه الأبيات مستفيدا من السيرة النبوية، وإن أخطأ في النظم بارتكابه الإقواء في البيت: ... وبشرا بوليد البيت والحرم، حيث جاء مكسورا والقصيدة مرفوعة الروي.

1– ورقة السيرة الذاتية مخطوط بيد الباحث – حامد هارون محمد في مكتبة الباحث

- **خاتمة**

إن منطقة إفريقيا غنية بالعقول الفاعلة، والنيات الصادقة، والإيمان القوي، ففيها رجال أخلصوا لدينهم ووطنهم أمثال الشيخ أحمد عبد الله بركة، ومحمد عليش عووضة وما كان على شاكلتهم، وإن المستعمر حاول جاهداً إدخال لغته وثقافته على إفريقيا وإجبار شعبها على قبول هذه اللغة وهذه الثقافة التي لا تمت لهذا الشعب بصلة.

وقد واجه المستعمر عقبات في تثبيت دعائم ثقافته في إفريقيا، منها رسوخ الإسلام في بعض مناطق إفريقيا، ومنها صلابة المثقفين باللغة العربية والثقافة الإسلامية مما جعل المستعمر يستعمل أبشع الوسائل لإقناع هذا الشعب بالأمر الواقع المتمثل في ثقافته الأجنبية، فقام المستعمر بقتل بعض حملة الثقافة الإسلامية واللغة العربية لإخافة البعض الآخر وتركعيه.

نخلص من ذلك إلى أن مراكز الثقافة العربية الإسلامية في إفريقيا لها من المنعة ما جعلها تقف سداً منيعاً في وجه المستعمر ومنع انتشار ثقافته في هذه المناطق. من هذه المراكز المعهد العلمي الإسلامي في مدينة أبشة بتشاد المنبع الذي انطلق منه الشيخ أحمد عبد الله بركة لأداء رسالته العلمية والأدبية.

- **النتائج والتوصيات**

مما سبق نستنتج الآتي:

- إذا سبق دخول الإسلام إلى منطقة فإن ما يأتي بعده لا مجال له.
- المراكز الإسلامية والثقافية في إفريقيا، لعبت دوراً مهماً في منع انتشار الثقافة الأوربية في هذه المناطق فرنسية كانت أو انجليزية.
- الشيخ أحمد عبد الله بركة أحد الذين قاموا بدور جادٍ في نشر اللغة العربية وآدابها في منطقة وسط إفريقيا عامة وفي تشاد بوجه خاص.

- التوصيات:

- نوصي الدارسين في الوطن العربي بالبحث عن مجهودات إخوانهم في إفريقيا وإظهارها للقراء.
- نوصي الأدباء والنقاد بإلقاء الضوء على النتاج الأدبي المكتوب باللغة العربية من أجل دراسته وتقويمه.
- نوصي الدارسين بالبحث عن مخطوطات الشيخ أحمد عبد الله بركة العلمية والأدبية.

- **المصادر والمراجع :**

1ـ أمين علي دهب الدراسة النحوية التحليلية لكتاب – سرية الطلاب في النحو والأعراب للشيخ أحمد البرعي، بحث مقدم لنيل درجة التمكن في علم اللغة جامعة انجمينا، كلية الأدارب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية، 2002–2003م.

2– إيليا سليم لحاوي، نماذج في النقد الأدبي وتحليل النصوص، دار الكتاب اللبناني، ط3، 1969م.

3ـ– ديوان أبي الطيب المتنبي، بشرح أبي البقاء العكبري، دار المعرفة – بيروت – لبنان (ب، د، ت)، ج3،

4– ورقة السيرة الذاتية مخطوط بيد الباحث – حامد هارون محمد في مكتبة الباحث.

5– طريق الهدى والرشاد في التصوف القويم، بدون تاريخ وبدون طباعة في مكتبة الباحث.

ملحق مخطوطة الشيخ

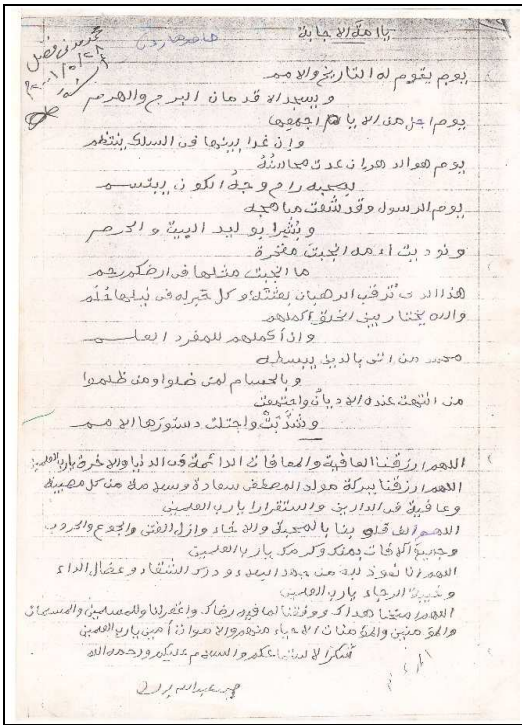

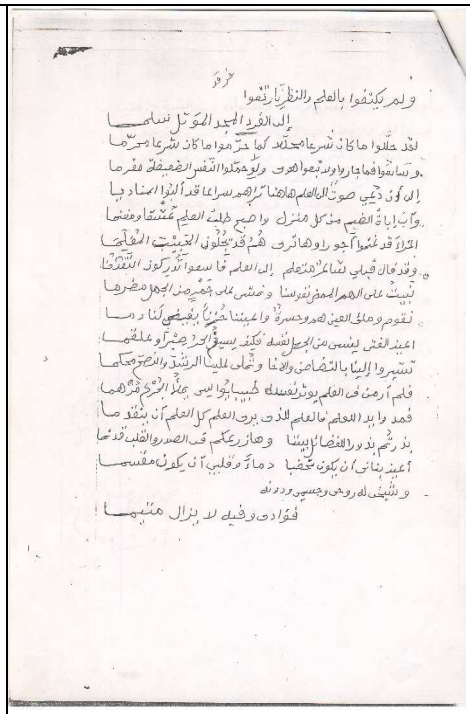

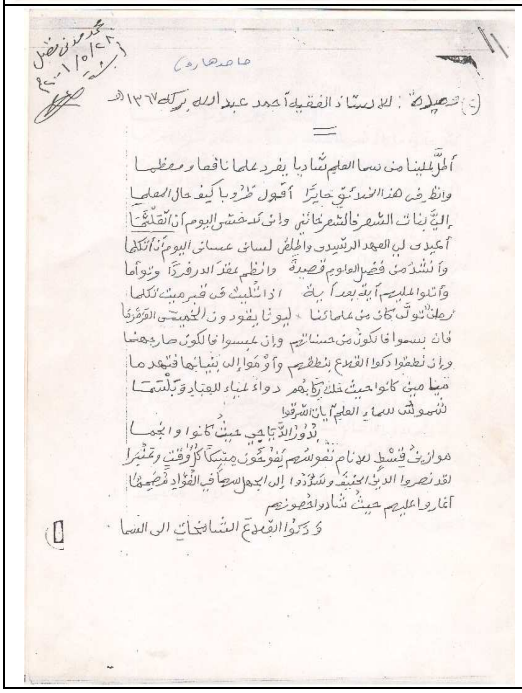

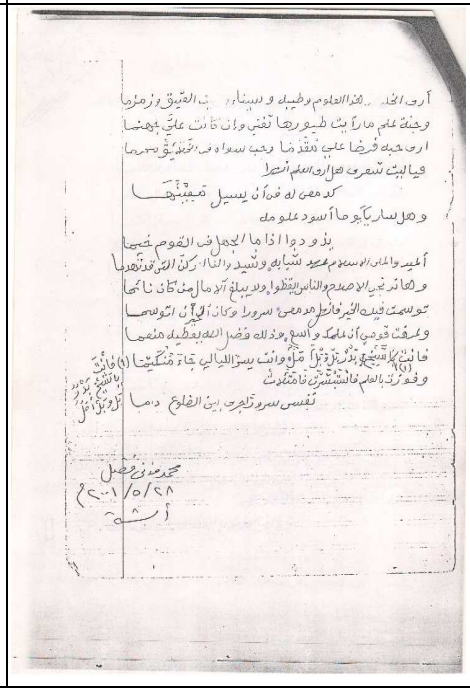

صورة الشيخ العلامة أحمد عبد الله بركة